5

الكُرَةُ المَقْطُوعَةُ

لُعْبَةٌ وَحِيدَةٌ يُحِبُّهَا «مَازِنُ» وَيُشَاهِدُهَا بِاسْتِمْتَاعٍ: «كُرَةُ القَدَمِ».

وَبِرُغْمِ الأَلْعَابِ العَدِيدَةِ الَّتِي كَانَ يَلْهُو بِهَا مَعَ أَقْرَانِهِ مِنَ الأَطْفَالِ، لَكِنْ كَانَ عَقْلُهُ يَنْحَازُ إِلَى كُرَةِ القَدَمِ؛ الَّتِي أَصَابَتْ قَلْبَهُ بِحُبٍّ قَوِيٍّ. فِي الحَقِيقَةِ لَمْ يَكُنْ لَدَيْهِ مَوْهِبَةٌ عَلَى الإِطْلَاقِ، لَكِنْ كَانَ يُؤَدِّيهَا بِطَرِيقَةٍ مَقْبُولَةٍ وَمَعْقُولَةٍ ...

كَانَ يُتَابِعُ كُلَّ المُبَارَيَاتِ دُونَ انْقِطَاعٍ، ويَعْرِفُ مُعْظَمَ أَسْمَاءِ النُّجُومِ المَحَلِّيَّةِ وَالعَالَمِيَّةِ.

كُرَةُ القَدَمِ كَانَ يُمَارِسُهَا فِي حِصَّةِ الأَلْعَابِ فَقَطْ. حَلُمَ فِي يَوْمٍ أَنْ يَمْتَلِكَ كُرَةً لِكَيْ يَلْهُو بِهَا كَمَا يَشَاءُ فِي أَوْقَاتِ الفَرَاغِ، وَفِي الأَجَازَاتِ.

مَرَّتِ الأَيَّامُ وَحُلْمُهُ سَاكِنٌ فِي عَقْلِهِ، وَبَعْدَ انْتِهَاءِ السَّنَةِ الدِّرَاسِيَّةِ فِي السَّنَةِ الأُولَى الإِعْدَادِيَّةِ قَرَّرَ «مَازِنُ» أَنْ يَطْلُبَ مِنْ خَالِهِ «نَبِيل» – فِي إِحْدَى زِيَارَاتِهِ لَهُمْ فِي مَنْزِلِهِمْ – أَنْ يَشْتَرِيَ لَهُ كُرَةً.

كَانَ «مَازِنُ» مُتَعَلِّقًا بِخَالِهِ، وَكَانَ خَالُهُ يُبَادِلُهُ نَفْسَ الإِحْسَاسِ، وَيُنَفِّذُ مَا يَطْلُبُهُ دُونَ أَيِّ اعْتِرَاضٍ وَدُونَ أَنْ يَجْرَحَ مَشَاعِرَهُ بِلَفْظٍ ثَقِيلٍ.

وَتَحَقَّقَتْ أُمْنِيَةُ «مَازِنَ» سَرِيعًا، وَأَصْبَحَتْ لَهُ كُرَةٌ جَدِيدَةٌ لَوْنُهَا مَزِيجٌ بَيْنَ الأَبْيَضُ و الأَزْرَقُ، كانت جَمِيلَةٌ وَلَامِعَةٌ.

وَفِي أَحَدِ أَيَّامِ الصَّيْفِ الحَارِّ قَبْلَ غُرُوبِ الشَّمْسِ بِسَاعَةٍ مَضَى «مَازِنُ» إِلَى النَّادِي ،- كَكُلِّ مَرَّةٍ -، وَاصْطَحَبَ مَعَهُ كُلَّ أَصْدِقَائِهِ ،لِكَيْ يَنْعَمُوا بِالكُرَةِ ذَاتِ اللَّوْنِ الجَمِيلِ .

مَا أَجْمَلَ أَنْ تَسْتَمْتِعَ بِشَيْءٍ تُحِبُّهُ! هَكَذَا كَانَ يَقُولُ «مَازِنُ» لِأَصْدِقَائِهِ السُّعَدَاءِ بِفَرْحَتِهِ وَهُمْ مُتَّجِهُونَ إِلَى النَّادِي.

كَانُوا جَمِيعًا سُعَدَاءَ بِحَقٍّ لِفَرْحَةِ «مَازِنَ» بِالكُرَةِ، فَهُمْ يُكِنُّونَ لَهُ كُلَّ حُبٍّ ... كَانَ الكُلُّ يَلْعَبُ بِالكُرَةِ، وَ«مَازِنُ» كَانَ يُرَاقِبُ نُفُوسَهُمُ الطَّيِّبَةَ تُجَاهَهُ.

وَصَلُوا إِلَى المَلْعَبِ وَرَمَى «مَازِنُ» الكُرَةَ بِدَاخِلِهِ، وَفِي مَشْهَدٍ جَذَّابٍ كَانَ أَحَدُهُمْ يَجْرِي وَرَاءَ الكُرَةِ فِي مُتْعَةٍ، وَالآخَرُ مَدَّ رَاحَةَ يَدِهِ، وَأَمْسَكَهَا ثُمَّ رَفَعَهَا عَلَى فَمِهِ وَقَبَّلَهَا وَقَالَ بِطَرِيقَةٍ مُضْحِكَةٍ: «يَا حَبِيبَتِي يَا كُورَةُ، يَا حِلْوَةُ إِنْتِ يَا عَسَلْ».

فَضَحِكُوا جَمِيعًا بِصَوْتٍ عَالٍ، وَالآخَرُ رَمَى نَفْسَهُ عَلَيْهَا وَاحْتَضَنَهَا

7

كَحَارِسِ المَرْمَى، «وَمَازِنُ» يُقَهْقِهُ، وَيُشَارِكُهُمْ هَذِهِ الفَقْرَةَ الطُّفُولِيَّةَ الخَفِيفَةَ الظِّلِّ.

ثُمَّ بَعْدَ قَلِيلٍ وَقَفَ «مَازِنُ» فِي مُنْتَصَفِهِمْ وَقَسَّمُوا أَنْفُسَهُمْ إِلَى فَرِيقَيْنِ، وَبَدَأُوا يَلْعَبُونَ.

وَفِي ظِلِّ الحَمَاسِ الطُّفُولِيِّ، وَأَثْنَاءَ انْدِمَاجِهِمْ صَوَّبَ «مَازِنُ» الكُرَةَ بِوَجْهِ قَدَمِهِ اليُمْنَى بِقُوَّةٍ، فَارْتَفَعَتْ عَنِ المَرْمَى بِمَسَافَةٍ طَوِيلَةٍ، وَلَمْ تُثْمِرْ عَنْ هَدَفٍ.

المَرْمَى كَانَ مُكَوَّنًا مِنْ عَارِضَتَيْنِ مِنْ قَالَبُ الطُّوبِ الأَحْمَرُ ، عَارِضَةٌ فِي اليَمِينِ، وَعَارِضَةٌ فِي اليَسَارِ، فَاصْطَدَمَتْ الكُرَةُ بِجِذْعِ الشَّجَرَةِ الحَادِّ كَالمُوسِ، كَانَ خَلْفَ المَرْمَى، نَفِدَ فِيهَا فَقَطَّعَهَا.

رَأَى «مَازِنُ» الكُرَةَ مُعَلَّقَةً فِي وَضْعٍ مُخِيفٍ، وَلَمْ تَسْقُطْ عَلَى الأَرْضِ، فَأَصَابَهُ الفَزَعُ، وَسُرْعَانَ مَا هَرْوَلَ نَحْوَهَا بِخُطُوَاتٍ سَرِيعَةٍ حَتَّى تَسَمَّرَ أَمَامَهَا حَزِينًا مُنْدَهِشًا، وَلَحِقَ بِهِ الأَصْدِقَاءُ الَّذِينَ كَانُوا يَنْظُرُونَ إِلَى الكُرَةِ فِي عَجَبٍ وَرُعْبٍ.

مَدَّ «مَازِنُ» رَاحَةَ يَدِهِ الصَّغِيرَةِ لِكَيْ يَسْحَبَهَا، كَانَتْ يَدُهُ تَرْتَعِشُ مِنَ الخَوْفِ الشَّدِيدِ، والعَرَقُ يرشح من مَسَامِّها ، فَرَآهَا قَدْ فَرِغَتْ مِنْ الهَوَاءِ،

وَفَقَدَتْ حَرَكَتَهَا، وَلَمْ تَعُدْ تَجْرِي وَتَقْفِزُ كَمَا كَانَتْ.

دَمَعَتْ عَيْنُ «مَازِنَ» حُزنًا وَأَلَمًا ثُمَّ رَدَّدَ أَمَامَ أَصْدِقَائِهِ وَهُوَ يَنْظُرُ «لِلْكُرَةِ المَقْطُوعَةِ»:

– نَحْنُ أُسْرَةٌ فَقِيرَةٌ. خَالِي «نَبِيل» جَمَعَ المَالَ بِصُعُوبَةٍ حَتَّى يَشْتَرِيهَا لِي. مَاذَا أَفْعَلُ الآنَ؟ لَنْ يَكُونَ مَعِي كُرَةٌ بَعْدَ اليَوْمِ.

وَبَيْنَمَا كَانَ يُرَدِّدُ هَذِهِ العِبَارَاتِ المُؤَثِّرَةِ البَاعِثَةِ عَلَى الحُزْنِ قَالَ أَحَدُ أَصْدِقَائِهِ:

– لَا تَحْزَنْ، هَذَا لَيْسَ ذَنْبَكَ، أَنْتَ لَمْ تَقْصِدْ، ثُمَّ إِنَّ أَبِي وَعَدَنِي بِكُرَةٍ قَرِيبًا عِنْدَمَا يَتَيَسَّرُ لَهُ الحَالُ، وَسَنَلْعَبُ بِهَا جَمِيعًا، وَسَأَتْرُكُهَا لَكَ كَمَا كُنْتَ تَتْرُكُهَا لَنَا.

– أَنْتُمْ فُقَرَاءُ مِثْلِي يَا صَدِيقِي، وَأَنَا اعْتَبَرْتُ هَذِهِ الكُرَةَ مُلْكَنَا جَمِيعًا.

حَقًّا؛ لَمْ يُشْعِرْهُمْ «مَازِنُ» يَوْمًا بِالتَّمَيُّزِ عَنْهُمْ فِي أَنَّهُ هُوَ الوَحِيدُ بَيْنَهُمْ الَّذِي يَمْلِكُ كُرَةً، كَانَ أَحْيَانًا يَتْرُكُهَا لَهُمْ، يَلْعَبُونَ بِهَا فِي حَالَةِ مَرَضِهِ، أَوْ عِنْدَ قَضَاءِ حَاجِيَاتِ المَنْزِلِ.

وَعِنْدَمَا كَانَ يَرْفُضُ أَبُوهُ خُرُوجَهُ لِلَّعِبِ كَانَ يَرْمِيهَا لَهُمْ مِنْ نَافِذَةِ بَيْتِهِ، وَيَقِفُ يُشَاهِدُهُمْ فِي فَرَحٍ وَسُرُورٍ كَأَنَّهُ يَلْعَبُ مَعَهُمْ.

9

حُزْنُ «مَازِنَ» وَبُكَاؤُهُ جَعَلَ أَعْيُنَ الأَصْدِقَاءِ تَدْمَعُ حُزْنًا وَتَأَثُّرًا مِنْ مَنْظَرِهِ.

وَقَبْلَ أَنْ تَغْرُبَ الشَّمْسُ بِدَقَائِقَ مَعْدُودَةٍ، رَحَلُوا جَمِيعًا مِنَ النَّادِي، وَمَلَامِحُ الأَسَى كَانَتْ جَلِيَّةً عَلَى وُجُوهِهِمْ، لَمْ تُفَارِقْهُمْ طِوَالَ الطَّرِيقِ، وَكَانَ كُلُّ مَا يُخِيفُ أَصْدِقَاءَهُ هُوَ أَنْ يَلْقَى صَدِيقُهُمْ «مَازِنُ» عِقَابًا قَاسِيًا مِنْ أَبَوَيْهِ.

ظَلَّ «مَازِنُ» وَهُوَ فِي طَرِيقِهِ إِلَى البَيْتِ يَنْظُرُ لِلْكُرَةِ بِحَسْرَةٍ كَبِيرَةٍ، دَخَلَ عَلَى إِثْرِهَا البَيْتَ مُطَأْطِئَ الرَّأْسِ حَامِلًا الكُرَةَ المَقْطُوعَةَ فِي يَدِهِ، وَكُلُّهُ خَوْفٌ مِنْ رَدِّ فِعْلِ أُمِّهِ وَعِقَابِهَا لَهُ.

وَالخَوْفُ الأَكْبَرُ لَوْ طَلَبَ كُرَةً غَيْرَهَا، فَأُمِّهِ عَصَبِيَّةُ المِزَاجِ، سَرِيعَةُ الغَضَبِ، لَكِنَّهَا رَقِيقَةُ القَلْبِ، تُسَامِحُ بَعْدَ وَقْتٍ وَجِيزٍ، وَتُحِبُّهُ حُبًّا جَمًّا.

كَانَتْ أُمُّهُ رَبَّةَ مَنْزِلٍ، وَأَبُوهُ مُوَظَّفًا بَسِيطًا رَاتِبُهُ ضَئِيلٌ جِدًّا، وَكَانَ جَدُّهُ العَجُوزُ مِنْ أَبِيهِ يَعِيشُ مَعَهُمْ فِي البَيْتِ؛ كَانَ رَجُلًا فَقِيرًا يَعْمَلُ فِي المَاضِي عَامِلَ بِنَاءٍ بِاليَوْمِيَّةِ، وَأَصْبَحَ مُلَازِمًا الفِرَاشَ بِسَبَبِ مَرَضِ الشَّيْخُوخَةِ المُهْلِكِ، الَّذِي أدَّى بِهِ إِلَى تصلُّب شَّراايينه .

وَقَفَ "مَازِنُ" أَمَامَ أُمِّهِ وَقَالَ بِلَهْجَةِ شَجَنٍ:

- أُمِّي، انْظُرِي لَقَدْ قُطِعَتِ الكُرَّةُ.

انْقَبَضَ صَدْرُهَا، وَتَسَاءَلَتْ وَهِيَ تَنْظُرُ إِلَيْهِ فِي ضِيقٍ وَغَرَابَةٍ:

– كَيْفَ حَدَثَ هَذَا؟!

وَبِأَعْصَابٍ مُتَوَتِّرَةٍ مِنْ "مَازِنَ"، رَوَى لَهَا المَوْقِفَ تَفْصِيلِيًّا، ثُمَّ قَالَ وَهُوَ يَبْكِي:

– اغْفِرِي لِي يَا أُمِّي، هَذَا بِدُونِ قَصْدٍ مِنِّي.

وَعِنْدَمَا رَأَتْ دُمُوعَهُ تَنْهَمِرُ عَلَى خَدَّيْهِ، صَمَتَتْ وَهِيَ تَكْظِمُ غَيْظَهَا. ثُمَّ أَكْمَلَ فِي تَوَسُّلٍ:

– مِنْ فَضْلِكِ يَا أُمِّي؛ أُرِيدُ وَاحِدَةً غَيْرَهَا، فَهَذِهِ الكُرَةُ لَا جَدْوَى مِنْهَا الآنَ.

لَمْ تَتَحَمَّلِ الأُمُّ طَلَبَهُ، فَصَرَخَتْ فِي وَجْهِهِ بِصَوْتٍ عَالٍ وَقَالَتْ:

– لَا أَمْلِكُ مَالًا، وَأَنْتَ تَعْلَمُ جَيِّدًا أَنَّ حَيَاتَنَا فَقِيرَةٌ.

كَانَ "مَازِنُ" يُتَابِعُهَا فِي صَمْتٍ، وَظَهَرَ عَلَى وَجْهِهِ الانْزِعَاجُ، وَلَمْ يَنْطِقْ بِكَلِمَةٍ، وَطَلَبَتْ مِنْهُ أُمُّهُ أَنْ يَرْحَلَ مِنْ أَمَامِهَا.

فَأَسْرَعَ غَاضِبًا إِلَى حُجْرَةِ جَدِّهِ، الَّذِي كَانَ مُسْتَلْقِيًا عَلَى ظَهْرِهِ فِي فِرَاشِهِ، فَبَكَى "مَازِنُ" أَمَامَهُ، فَسَأَلَهُ جَدُّهُ عَنْ سَبَبِ البُكَاءِ، لَمْ يَرُدَّ، فَطَلَبَ مِنْهُ جَدُّهُ أَنْ يَتَوَقَّفَ عَنْ بُكَائِهِ لِأَنَّهُ مَرِيضٌ. فَسَمِعَ كَلَامَهُ وَهَدَأَ، وَمَسَحَ وَجْهَهُ بِظَهْرِ كَفِّهِ، ثُمَّ قَالَ:

11

– انْظُرْ يَا جَدِّي لِلْكُرَةِ.

– مَا هَذَا؟!

قَصَّ عَلَيْهِ أَيْضًا مَا حَدَثَ لِلْكُرَةِ.

– فِدَاكَ يَا حَبِيبِي مَا دُمْتَ بِخَيْرٍ.

– أُمِّي لَا تَرْغَبُ فِي شِرَاءِ كُرَةٍ جَدِيدَةٍ غَيْرَهَا، قُلْ لَهَا يَا جَدِّي؛ سَتَسْمَعُ كَلَامَكَ أَنْتَ.

قَالَ الجَدُّ مُبْتَسِمًا مُحَاوِلًا تَهْدِئَتَهُ:

– لَا تَقُلْ ذَلِكَ يَا حَبِيبِي، لَوْ كَانَ بِمَقْدُورِهَا مَا تَأَخَّرَتْ عَلَيْكَ لَحْظَةً، أَنْتَ وَلَدُهَا الوَحِيدُ المَحْبُوبُ، إِنَّهَا تُحِبُّكَ، وَسَعَادَتُهَا مِنْ سَعَادَتِكَ، وَحُزْنُهَا مِنْ حُزْنِكَ.

– لَكِنْ لَنْ نَلْعَبَ بَعْدَ اليَوْمِ أَنَا وَأَصْدِقَائِي، هُمْ مَسَاكِينُ وَفُقَرَاءُ مِثْلَنَا.

– هَذِهِ إِشَارَةٌ طَيِّبَةٌ مِنْكَ، كُلُّهَا مَعَانٍ إِنْسَانِيَّةٌ جَمِيلَةٌ فِي أَنْ تَنْشَغِلَ بِحَالِ أَصْدِقَائِكَ، وَهَذِهِ صِفَةٌ أَهَمُّ مِنَ الفَقْرِ، وَأَهَمُّ مِنْ حُزْنِكَ عَلَى الكُرَةِ، كَانَ اللهُ فِي عَوْنِكَ وَفِي عَوْنِهِمْ.

ثُمَّ وَاصَلَ جَدُّهُ كَلَامَهُ وَقَالَ:

– ضَعْ نَفْسَكَ مَكَانَ أُمِّكَ أَوْ أَبِيكَ.

ثُمَّ صَمَتَ لَحْظَةً وَهُوَ يَرْفَعُ جَسَدَهُ قَلِيلًا مِنْ عَلَى فِرَاشِهِ، ثُمَّ قَالَ وَهُوَ يُقَاوِمُ أَلَمَ المَرَضِ بِعَنَاءٍ:

- دَعْنِي يَا بُنَيَّ أَسْأَلْكَ سُؤَالًا:

- تَفَضَّلْ يَا جَدِّي، كَمَا شِئْتَ.

- هَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَشْتَرِيَ قِطْعَةَ حَلْوَى بِدُونِ مَالٍ؟

- لَا.

هَكَذَا أُمِّكَ لاتَمَلُّكُ مَالًا ، أَفَهِمتَ "يامَازِنُ".

ثُمَّ قَالَ "مَازِنُ" فَجْأَةً بِعَفْوِيَّةِ طِفْلٍ مُطْلَقَةٍ:

- إِذًا؛ يَجِبُ أَنْ أَعْمَلَ حَتَّى أُحَقِّقَ مَا أُرِيدُهُ.

ضَحِكَ الجَدُّ ثُمَّ قَالَ:

- أَنْتَ مَا زِلْتَ صَغِيرًا عَلَى العَمَلِ، وَنَحْمَدُ اللهَ مَرَّةً أُخْرَى فِي عَدَمِ حُدُوثِ مَكْرُوهٍ لَكَ، وَلَا أَحَدَ يَعْرِفُ؛ فَقَدْ يُعَوِّضُكَ اللهُ بِوَاحِدَةٍ أَجْمَلَ مِنْهَا إِذَا قُلْتَ الحَمْدُ لِلَّهِ بِجَانِبِ صَبْرِكَ. الصَّبْرُ جَمِيلٌ يَا مَازِنُ!

ثُمَّ اسْتَرْسَلَ الجَدُّ فِي قَوْلِهِ:

- لَا تَحْكِ لِأَبِيكَ شَيْئًا.

فَقَالَ "مَازِنُ" بِصِدْقٍ:

- لَنْ أَحْكِيَ لِأَبِي شَيْئًا.

- بَارَكَ اللهُ فِيكَ يَا وَلَدِي.

ولم يَحْكِ "مَازِنَ" لِأَبِيه ،ولَمْ يَطْلُبْ مِنْ أَحَدٍ كُرَةً جَدِيدَةً.

كَانَتْ مِنَ الصِّفَاتِ الحَمِيدَةِ لِ"مَازِنَ" أَنَّهُ مُطِيعٌ، وَعِنْدَمَا يُقْنِعُهُ أَحَدٌ بِهُدُوءٍ يَلْتَزِمُ الصَّمْتَ دُونَ مُجَادَلَةٍ.

دَخَلَ بَعْدَهَا "مَازِنُ" إِلَى حُجْرَتِهِ وَاسْتَلْقَى عَلَى فِرَاشِهِ، وَلَمْ يُحَاوِلْ إِعَادَةَ حَادِثَةِ الكُرَةِ فِي رَأْسِهِ، وَمَضَى فِي ثَبَاتٍ عَمِيقٍ، وَاسْتَيْقَظَ فِي الصَّبَاحِ، ثُمَّ نَهَضَ مِنْ فِرَاشِهِ وَخَطَا نَحْوَ الصَّالَةِ، وَجَلَسَ عَلَى أَحَدِ الكَرَاسِي لاسْتِعَادَةِ تَرْكِيزِهِ وَنَشَاطِهِ.

وَمَا إِنْ جَلَسَ حَتَّى وَقَعَتْ عَيْنَاهُ عَلَى الكُرَةِ الَّتِي كَانَتْ مُلْقَاةً بِجِوَارِ مِنْضَدَةِ التِّلِفِزْيُونِ، فَعَادَ لِسَابِقِ تَأَثُّرِهِ، وَغَطَّتْ غُيُومُ الأَحْزَانِ عَيْنَيْهِ.

وَفِي هَذِهِ الآوِنَةِ؛ خَرَجَتِ الأُمُّ مِنَ المَطْبَخِ تَحْمِلُ فِي يَدِهَا كُوبًا مِنَ المَاءِ، وَقُرْصًا مِنَ العَقَاقِيرِ إِلَى جَدِّهِ المَرِيضِ، فَوَقَفَتْ مَكَانَهَا عِنْدَمَا رَأَتْهُ سَارِحًا فِي مَنْظَرِ الكُرَةِ الَّتِي تَقْتَرِبُ مِنْهَا بِمَسَافَةٍ قَصِيرَةٍ، وَلَوَتْ وَجْهَهَا مُتَضَايِقَةً عَلَى حَالِ ابْنِهَا.

لَمْ يَكُنْ بِوُسْعِهَا فِعْلُ شَيءٍ، وَدَقَّ قَلْبَهَا بِرِفْقٍ، وَفِي عَيْنَيْهَا نَظْرَةٌ يَكْسُوهَا الحَنَانُ، تَدْعُو اللهَ أَنْ يَرْزُقَهَا بِمَالٍ حَتَّى تَشْتَرِيَ لَهُ غَيْرَهَا.

ثُمَّ قَالَتْ، وَقَدْ عَلَتْ عَلَى وَجْهِهَا ابْتِسَامَةٌ مُحَاوِلَةً أَنْ تُنْسِيهِ:

– صَحَّ النَّوْمُ يَا حَبِيبِي، لَمْ يَعُدْ الحُزْنُ يُجْدِي، قُمْ لِتَدْخُلَ إِلَى الحَمَّامِ.

رَكَّزَ "مَازِنُ" عَيْنَيْهِ فِي وَجْهِهَا مُطِيعًا لَهَا، وَقَالَ بِصَوْتٍ مُنْخَفِضٍ:

– أَنَا اليَوْمَ فِي أَفْضَلِ حَالٍ يَا أُمِّي.

شَعَرَتِ الأُمُّ بِالارْتِيَاحِ، وَصَدَّقَتْ قَوْلَهُ لِأَنَّهُ لَمْ يَتَرَبَّ عَلَى الكَذِبِ، وَمَضَتْ إِلَى جَدِّهِ فِي خُطُوَاتٍ مُطْمَئِنَّةٍ فِي أَنَّ ابْنَهَا الوَحِيدَ لَنْ يَكُونَ تَعِيسًا بَعْدَ اليَوْمِ.

وَأَغْمَضَ "مَازِنُ" عَيْنَيْهِ؛ كَأَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُؤَكِّدَ بِالفِعْلِ مَا قَالَهُ لِأُمِّهِ، ثُمَّ نَهَضَ وَاغْتَسَلَ.

وَبَعْدَهَا حَضَّرَتِ الأُمُّ وَجْبَةَ الفَطُورِ البَسِيطَةِ المُكَوَّنَةِ مِنَ الخُبْزِ وَقِطْعَةِ جُبْنِ (قَرِيشْ)، وَطَبَقِ فُولٍ صَغِيرٍ، فَالْتَهَمَهَا كُلَّهَا، حَيْثُ كَانَ يَتَضَوَّرُ جُوعًا، لِأَنَّهُ بِالأَمْسِ لَمْ يَأْكُلْ جَيِّدًا بِسَبَبِ انْشِغَالِهِ بِحَادِثَةِ الكُرَةِ.

وَسُرْعَانَ مَا خَرَجَ "مَازِنُ" لِيَلْعَبَ مَعَ أَصْدِقَائِهِ أَمَامَ البَيْتِ، وَظَلَّتِ الأُمُّ مُنْشَغِلَةَ الفِكْرِ بِابْنِهَا.

وَبَعْدَ لَحَظَاتٍ طَرَقَ خَالُهُ "نَبِيل" البَابَ، وَكَانَتْ أُمُّ مَازِنَ هِيَ مَنْ فَتَحَتْهُ،

15

كَانَتْ زِيَارَتُهُ مُفَاجِئَةً، فَقَدْ عَادَ مِنْ عَمَلِهِ مُبَكِّرًا، وَقَرَّرَ فِي نَفْسِهِ أَنْ يَأْتِيَ لِيَطْمَئِنَّ عَلَى الحَالَةِ الصِحِّيَّةِ لِجَدِّ "مَازِنَ"، وَيُفْطِرَ بِالمَرَّةِ مَعَ أُخْتِهِ الوَحِيدَةِ الَّتِي يُحِبُّهَا، فَمُنْذُ قُرَابَةُ أُسْبُوع لَمْ يَأْتِ لِزِيارَتِهُم.

اسْتَقْبَلَتْهُ أُخْتِهِ بِتِرْحَابٍ وَفَرْحَةٍ غَامِرَةٍ، فَهِيَ تُبَادِلُهُ نَفْسَ شُعُورِ الحُبِّ، وَدَعَتْهُ لِلدُّخُولِ، وَمَا إِنْ جَلَسَ حَتَّى سَأَلَ عَنْ "مَازِنَ".

كَانَ فِي شَوْقٍ لِرُؤْيَتِهِ، فَأَخْبَرَتْهُ الأُمُّ أَنَّهُ يَلْعَبُ مَعَ أَصْدِقَائِهِ أَمَامَ البَيْتِ، وَقَالَتْ:

- أَلَمْ تَرَهُ؟

فَقَالَ:

- لَا.

فَقَالَتِ الأُمُّ:

- يَبْدُو أَنَّه قَدْ ذَهَبَ لِيَلْعَبَ بِجِوَارِ بَيْتِ أَحَدِ أَصْدِقَائِهِ.

اسْتَرَدَّ أَنْفَاسَهُ، وَانْتَظَرَتْ حَتَّى يُفْطِرَ، وَحَكَتْ لَهُ قِصَّةَ الكُرَّةِ وَهُوَ يَشْرَبُ الشَّايَ السَّاخِنَ، ،فَطَالَهُ الحُزْنُ لِأَنَّ هَذَا بِالتَّأْكِيدِ قَدْ أَحْزَنَ "مَازِنَ"، وَهُوَ لَا يَقْبَلُ وَلَا يَتَحَمَّلُ عَلَيْهِ هَفْوَةً.

وَحَزِنَ أَكْثَرَ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لَدَيْهِ مَالٌ مِثْلَ المَرَّةِ السَّابِقَةِ عِنْدَمَا اشْتَرَى لَهُ

كُرَةً.

ثُمَّ قَالَ وَهُوَ يُفَكِّرُ بِتَمَعُّنٍ:

- يَجِبُ أَنْ أَتَصَرَّفَ.

رَدَّتْ أُخْتُهُ:

- لَا تُكَلِّفْ نَفْسَكَ يَا أَخِي العَزِيزُ.

- لَا تَشْغَلِي بَالَكِ يَا أُخْتِي العَزِيزَةُ، "مَازِنُ" أَعْتَبِرُهُ ابْنِي.

شَعَرَتِ الأُمُّ بِالسَّعَادَةِ لأَنَّ أَخَاهَا يُفَكِّرُ فِي إِيجَادِ حَلٍّ لِلْكُرَةِ، وَصَمَتَ خَالُهُ "نَبِيل" قَلِيلًا، حَتَّى لَاحَتْ فِي رَأْسِهِ فِكْرَةٌ، رَآهَا صَائِبَةً، ثُمَّ نَهَضَ، وَقَرَّرَ الخُرُوجَ مِنَ المَنْزِلِ، وَكُلُّ مَا فِي رَأْسِهِ أَنَّهُ سَيَحُلُّ مُشْكِلَةَ الكُرَةِ المَقْطُوعَةِ.

قَالَتْ أُمُّ مَازِنَ:

- إِلَى أَيْنَ أَنْتَ ذَاهِبٌ؟

- لَا تَقْلَقِي يَا أُخْتِي، سَأَعُودُ بَعْدَ قَلِيلٍ.

وَمَضَى إِلَى أَحَدِ المَحَلَّاتِ الرِياضِيَّةِ وَاشْتَرَى "قَلْبًا دَاخِلِيًّا جَدِيدًا" لِلْكُرَةِ . وَبَعْدَ وَقْتٍ لَيْسَ بِالكَثِيرِ عَادَ، وَقَدْ طَلَبَ مِنْ أُخْتِهِ أَنْ تُحْضِرَ لَهُ الكُرَةَ قَبْلَ مَجِيءِ "مَازِنَ" حَتَّى يُفَاجِئَهُ.

17

وَبَدَأَ فِي مُحَاوَلَةِ إِخْرَاجِ "القَلْبِ المَقْطُوعِ" حَتَّى نَجَحَ، وَقَامَ بِتَنْظِيفِ الكُرَةِ مِنَ الدَّاخِلِ، وَوَضَعَ القَلْبَ الدَّاخِلِيَّ الجَدِيدَ.

وَلَكِنَّهُ تَذَكَّرَ أَنَّهُ يَحْتَاجُ إِلَى مِنْفَاخٍ لِمَلْءِ الكُرَةِ بِالهَوَاءِ، فَمَضَى إِلَى مُصْلِحِ الدَرَّاجَاتِ وَنَفَخَ الكُرَةَ عِنْدَهُ، ثُمَّ نَظَرَ إِلَيها و قَالَ فِي سَرِيرَتَهُ هُنَاكَ الجُزْءِ المَقْطُوعِ يَجِبُ إِخْفَائُه، فَمَضَى هَذِهِ المَرَّةَ إِلَى صَّدِيقُه مُصْلِحِ الأَحْذِية واسْتَسْمَحَه فِي لاَصِقٌ "الكوله" مَعَّ رُقْعَةٍ مِنَ الجِلْدِ لِمُدَارَاةِ وَتَحْسِينِ شَكْلِ مَاقُطِعَ مِنَ الكُرَةِ، وبِأَقْصَى سرعة وَضَعَ مُصْلِحِ الأَحْذِية اللَاصِقٌ عَلَى الجُزْءِ المَقْطُوعِ وَوَزَّعه بِإِصبَعيهِ السَّبَّابَةُ والوُسْطى،ثُمَّ وَضَعَ رُقْعَةَ الجِلْدِ الَّتِي رَآهَا مُنَاسِبَةً حَتَّى اخْتَفَى الجُزْءِ المَقْطُوعِ تَمَامًا، وقَبْل أَنْ يَرحَل جَرَّبَ الكُرَةِ ،فوَجَدَها كَمَا تَمَنَّى ،وأَفرَحه نَجَاحُه بَعْدَ تَعَبِه ،وأَنَّه سَيُدخِلُ الفَرَحِ والسُّرُورِ عَلَى "مَازِنَ" .

ثُمَّ عَادَ سَرِيعاً إِلَى بَيْتِ أُخْتِهِ مَرَّةً أُخْرَى، وأَمْسَكَ الكُرَةَ بِيَدِهِ أَمَامَهَا، يُرِيدُ أَنْ يُفرِحها، وَبَدَأَ يَضْرِبُهَا فِي الأَرْضِ فارْتَفَعَت وَهَبَطَت أَمَامَ عَيْنَيَّها ، وفَرِحَت أُمُّ "مَازِنَ" بِمَا أَنْجَزَ أَخَاهَا .ولم يَهْدَأ، فَرَاحَ يُحَرِّكُهَا بِقَدَمَيْهِ ، يُرِيدُ أَنْ يُجَرِّبَهَا أَكْثَرَ و أَكْثَرَ حَتَّى وَجَدَهَا فِي حَرَكَةٍ قَوِيَّةٍ، صَالِحَةٍ لِلَّعِبِ، لِدَرَجَةٍ تُشْعِرُكَ عِنْدَمَا تَرَاهَا كَأَنَّهَا لَمْ تَكُنْ مَقْطُوعَةً أَبَدًا.

ثُمَّ قَالَ لِأُخْتِهِ:

- كُنْتُ أُحِبُّ لَعِبَ الكُرَةِ وَأَنَا صَغِيرٌ.

فَقَالَتْ أُخْتُهُ وَهِيَ تُمَازِحُهُ:

- كُنْتَ شَقِيًّا مِثْلَ "مَازِنَ".

فَقَالَ:

- هُوَ يُشْبِهُنِي فِي أَشْيَاءَ كَثِيرَةٍ، لِذَلِكَ أُحِبُّهُ جِدًّا، الخَالُ وَالِدٌ كَمَا تَعْرِفِينَ.

فَابْتَسَمَتْ أُخْتُهُ.

وَفَكَّرَ كَيْفَ يُفَاجِئُ "مَازِنَ"، وَأَدْرَكَتْ أُمُّ "مَازِنَ" مَا يَرْمِي إِلَيْهِ أَخُوهَا "نَبِيل"، فَطَلَبَ مِنْهَا أَنْ تُخْفِيَ الكُرَةَ فِي إِحْدَى الغُرَفِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِي.

أَخَذَتْ مِنْهُ الكُرَةَ، وَدَخَلَتْ غُرْفَتَهَا وَأَخْفَتْهَا فِيهَا، وَأَغْلَقَتْ عَلَيْهَا البَابَ، ثُمَّ عَادَتْ، وَجَلَسَتْ بِجِوَارِ أَخِيهَا يَنْتَظِرَانِ عَوْدَةَ "مَازِنَ".

أَتَى "مَازِنُ" مِنَ الخَارِجِ وَهُوَ يَلْهَثُ، وَالعَرَقُ يَتَصَبَّبُ مِنْ وَجْهِهِ، فَوَجَدَ خَالَهُ "نَبِيل" جَالِسًا يَتَحَدَّثُ وَيَضْحَكُ مَعَ أُخْتِهِ، فَقَدْ هَدَأَ بَالُهُ بَعْدَ إِنْجَازِ مُهِمَّةِ الكُرَةِ بَتَفَوُّقٍ.

فَرِحَ "مَازِنُ" عِنْدَمَا رَأَى خَالَهُ، فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ وَصَافَحَهُ ثُمَّ قَبَّلَهُ وَقَالَ:

- خَالِي؛ أَهْلًا بِكَ.

- أَهْلًا بِكَ يَا عَزِيزِي، لَقَدْ أَخْبَرَتْنِي أُمُّكَ مَا حَدَثَ فِي الأَمْسِ لِلكُرَةِ، وَأَنَّكَ كُنْتَ تَرْغَبُ فِي وَاحِدَةٍ أُخْرَى، وَهَا أَنَا قَدْ أَحْضَرْتُ لَكَ غَيْرَهَا.

فَسَأَلَ "مَازِنُ" بِاشْتِيَاقٍ:

- أَيْنَ هِيَ يَا خَالِي الحَبِيبُ؟

رَفَضَ خَالُهُ أَنْ يُخْبِرَهُ عَنْ مَكَانِهَا فِي بَادِئِ الأَمْرِ، بِشَرْطِ أَنْ يَعِدَهُ أَنْ يَحْمَدَ اللهَ عَلَى أَيِّ شَيءٍ يَحْدُثُ لَهُ.

فَقَالَ "مَازِنُ" بِصَدْرٍ رَحْبٍ:

- هَكَذَا فَعَلْتُ كَمَا طَلَبَ مِنِّي جَدِّي، وَأَعْتَذِرُ مَرَّةً أُخْرَى عَلَى حُزْنِي وَتَأَثُّرِي الزَائِدِ، وَكَانَ لَابُدَّ أَلَّا أَطْلُبَ مِنْ أُمِّي كُرَةً جَدِيدَةً لِأَنَّ ظُرُوفَنَا المَعِيشِيَّةَ لَا تَسْمَحُ بِهَذَا.

ابْتِسَمَتِ الأُمُّ الَّتِي تَسْمَعُ الحِوَارَ وَقَالَتْ:

- لَا بَأْسَ يَا عَزِيزِي.

ثُمَّ سَأَلَهُ خَالُهُ "نَبِيل" مُشَوِّقًا إِيَاهُ:

- هَلْ مَا زِلْتَ تَنْتَظِرُ المُفَاجَأَةَ؟

ابْتَسَمَ "مَازِنُ" بِنَظَرَاتٍ مُتَرَقِّبَةٍ ثُمَّ قَالَ:

- نَعَمْ أَنْتَظِرُ.

فَأَثَارَ خَالُهُ اشْتِيَاقَهُ أَكْثَرَ، "وَمَازِنُ" يَتَحَايَلُ عَلَيْهِ وَهُوَ يَضْحَكُ، ثُمَّ غَمَزَ خَالُهُ أُخْتَهُ دُونَ أَنْ يَشْعُرَ "مَازِنُ"، فَدَخَلَتِ الغُرْفَةَ مُسْتَغِلَّةً انْشِغَالَهُ مَعَ خَالِهِ، وَخَرَجَتْ وَمَعَهَا الكُرَةُ، فَقَالَ لَهُ خَالُهُ وَهُوَ يُشِيرُ بِرَأْسِهِ:

- انْظُرْ خَلْفَكَ يَا فَتَى.

فَحَوَّلَ "مَازِنُ" رَأْسَهُ إِلَى الخَلْفِ، فَوَجَدَ أُمَّهُ تُمْسِكُ الكُرَةَ وَهِيَ مُبْتَسِمَةٌ، فَانْدَهَشَ مِنْ هَوْلِ المُفَاجَأَةِ، وَهُوَ يَنْظُرُ بِعَيْنَيْنِ مِلْؤُهُمَا الفَرْحَةُ.

وَأَسْرَعَ بِضْعَ خَطَوَاتٍ مُقْتَرِبًا نَحْوَ أُمِّهِ، الَّتِي رَمَتْ إِلَيْهِ الكُرَةَ، فَالْتَقَطَهَا وَهَتَفَ بِصَوتٍ عَالٍ وَهُوَ يَشْعُرُ بِالجُنُونِ:

- كَيْفَ عَادَتْ هَكَذَا؟! إِنَّهَا كُرَتِي القَدِيمَةُ! أَنَا أَحْلُمُ!

ابْتَسَمَ خَالُهُ وَقَالَ:

- اسْتَيْقِظْ؛ إِنَّهَا حَقِيقَةٌ.

وَأَثْنَاءَ فَرْحَةِ "مَازِنَ" سَأَلَهُ خَالُهُ:

- مَا رَأْيُكَ فِي صُنْعِي إِذًا؟

– إِنَّكَ سَاحِرٌ يَا خَالِي. لَقَدْ أَصْبَحَتْ تَتَحَرَّكُ مِثْلَ الأَوَّلِ! إِنَّهَا عَادَتْ كَمَا كَانَتْ نَشِيطَةً! سَيَفْرَحُ أَصْدِقَائِي كَثِيرًا عِنْدَمَا يَعْرِفُونَ.

قَالَ خَالُهُ وَهُوَ يَبْتَسِمُ:

– أُرِيدُ أَنْ أُعَلِّمَكَ شَيْئًا آخَرَ، وَهُوَ أَنْ تَتَعَلَّمَ كَيْفَ تُفَكِّرُ فِي إِصْلَاحِ مَا تَمَّ إِفْسَادُهُ، وَإِنْ لَمْ تَعْرِفْ يَكْفِي أَنَّكَ حَاوَلْتَ. يَكْفِيكَ شَرَفُ المُحَاوَلَةِ.

– أَشْكُرَكَ يَا خَالِي عَلَى نَصَائِحِكَ الدَّائِمَةِ، وَعَلَى حُبِّكَ لِي، كَمْ أَنْتَ شَخْصٌ جَمِيلٌ فِي حَيَاتِي! أُحِبُّكَ كَثِيرًا مِنْ كُلِّ قَلْبِي.

قَالَتِ الأُمُّ وَهِيَ تَبْتَسِمُ:

– مُبَارَكٌ عَلَيْكَ يَا بُنَيَّ.

خَطَا خَالُهُ نَحْوَهُ وَقَبَّلَهُ ثُمَّ قَالَ:

– أَحْمَدُ اللهَ عَلَى عَوْدَةِ الابْتِسَامَةِ إِلَى وَجْهِكَ.

نَظَرَ "مَازِنُ" إِلَى الكُرَةِ وَضَرَبَهَا فِي الأَرْضِ، ثُمَّ نَظَرَ إِلَيْهَا وَهِيَ تَقْفِزُ لِأَعْلَى، وَقَفَزَ مَعَهَا وَهُوَ يَضْحَكُ فَرَحًا، ثُمَّ أَمْسَكَهَا وَاحْتَضَنَهَا بِحُبٍّ لَا مَثِيلَ لَهُ.

ثُمَّ أَسْرَعَ "مَازِنُ" لِكَيْ يَخْرُجَ مِنَ البَيْتِ. يَضْحَكُ الخَالُ وَتَبْتَسِمُ الأُمُّ. ثُمَّ تَعَالَى صَوْتُ جَدِّهِ القَادِمِ مِنَ الغُرْفَةِ، قَائِلًا:

– مُبَارَكٌ "يَا مَازِنُ".

وَقَفَ "مَازِنُ" عَلَى البَابِ يَنْظُرُ يَمِينًا وَيَسَارًا يَبْحَثُ عَنْ أَصْدِقَائِهِ لِيُرِيَهُمُ الكُرَةَ، فَأَخَذَ يَبْحَثُ عَنْهُمْ حَتَّى رَآهُمْ يَجْرُونَ وَرَاءَ بَعْضِهِمْ البَعْضَ فَنَادَى عَلَيْهِمْ:

– يَا أَصْدِقَائِي، يَا أَصْدِقَائِي.

انْتَبَهُوا إِلَيْهِ.

فَأَخْرَجَ الكُرَةَ الَّتِي يُخْفِيهَا وَرَاءَ ظَهْرِهِ، وَأَلْقَاهَا عَلَى الأَرْضِ وَسْطَ دَهْشَتِهِمْ، وَأَخَذَتِ الكُرَةُ تَتَدَحْرَجُ فِي اتِّجَاهِهُمْ.

ثُمَّ قَالَ أَحَدُهُمْ:

– كَيْفَ؟! يَا لَلْعَجَبْ! كُرَتُكَ القَدِيمَةُ! احْكِ لَنَا بِسُرْعَةٍ أَرْجُوكَ، كَيْفَ تَمَّ إِصْلَاحُهَا؟!

فَقَالَ "مَازِنُ" وَهُوَ يَبْتَسِمُ:

– سَأَحْكِي لَكُمْ فِي وَقْتٍ لَاحِقٍ.هَيَّا بِنَا الآنَ نَلْعَبُ يَا أَصْدِقَاءُ.